النّقد الموضوعاتي- الماهية والتشكّل-

The objective criticism: The essence and The morphology

فاطمة هرمة[1]-Fatima Herma

جامعة غرداية -الجزائر- fh36@yahoo.com

تاريخ الإرسال:26-02-2019 تاريخ القبول:25-05-2019 تاريخ النشر: 31-01-2020

ملخّص: يسعى هذا البحث للتّعريف بنوع من أنواع النّقد المعاصر الذي يهتم بالقيم الفنية للأعمال الأدبية والمعاني والبنى المشتركة داخل أعمال الكاتب الواحد والمتمثل في النقد الموضوعاتي، وذلك من خلال معالجة الإشكالية التالية:

ما هي ماهية النقد الموضوعاتي؟ وكيف تشكل عند النقاد الغرب؟ وكيفية تلقيه في العالم العربي؟

كلمات مفتاحيّة: النّقد الموضوعاتي- الماهية- التشكّل.

Abstract: Tis research aims to give the defenition of one asort of a contemporary criticism which is intersted in technical values of the literture works , meaning and the common structures in the works of a single writer .

It is represented in the objective criticism through treating this problem :

What is the objective criticism and how i twas formed by the western critics ? and how it was recieved in the arabic world ?

key words:The objective criticism.; The essence, The morphlogy.

مقدمة: عرف القرن العشـــرين ظهور مناهج ونظريات تركز على العمل الأدبي لا خارجه، تعتبره وحدة مســـتقلة قائمة بذاتها على عكس المناهج الســـياقية التي تهتم بالأديب وما يحيط به من ظروف، لكن مع ظهور النّقد الجديد انبثقت مناهج نصـــية عديدة منها: البنيوي، الأسلوبي، السيميائي، الموضوعاتي وغيرها.

[1]-المؤلف المرسل: فاطمة هرمة، الإيميل: fh36@yahoo.com

المنارة للاستشارات

والنّقد الموضوعاتي يبحث عن القيم والمعاني من داخل النص لا من خارجه، فكان اهتمام النقاد الغربيين به كبيرا لكنه تأخر في وطننا العربي. ومحاولة مني لتسليط الضوء على هذا النقد حاولت الإجابة عن الإشكالية التالية:

ما ماهية النّقد الموضوعاتي؟ وكيف تشكل عند النقاد الغرب؟ وكيفية تلقيه في العالم العربي؟

–مفهوم الموضوع لغة واصطلاحا: جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة وضع ما يلي: "وضع، الوضعُ :ضد الرفع وضعه وضعًا وموضوعًا، وأنشد ثعلب* بيتين فيهما:

موضوع جودك ومرفوعه(بحر البسيط)

عنى بالموضوع ما أضمره ولم يتكلم به، والمرفوع ما أظهره وتكلم به"[1]

وكأن ابن منظور أدرك مبكرا أنّ النصّ يحمل معنيين أحدهما سطحي وظاهر سماه المرفوع وآخر خفي وعميق قال عنه الموضوع.

وفي محيط المحيط لبطرس البستاني جاء: "الموضوع مصدر واسم مفعول ويطلق في الاصطلاح على معان، منها: الشيء الذي عين للدلالة على المعنى منها الشيء المشار إليه إشارة حسية، وموضوع العلم: هو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، كبطن الإنسان لعلم الطب، فإنه يبحث فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض، وكالكلمات لعلم النحو، فإنه يبحث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء وموضوع الوعظ عند الوعاظ هو الآية أو المادة التي يبنون عليها الوعظ"[2]

فالموضوع لدى بطرس البستاني يتسع إلى مجالات العلم المختلفة كالطب واللّغة والدين.

وفي المعاجم الحديثة نجد سعيد علوش يعرفه "بأنه شيء مادي ينتجه مجتمع ويمتلك وظيفة عن الإنسان عامة"[3]

المنارة للاستشارات

وكلمة " thème موضوع الموضوعاتي، الموضوعاتية، الموضوعاتيات كلمات مقابلة للأصل الأجنبي.r/thème /thématique/thématise

في معجم لاروس تعني"المادة المتداولة للحوار في مجال الخطابة أو كتابة الأعمال الأدبية، وتطلق و كلمة thème أيضا على ما يطبق على أفكار الآخرين وما يشغل أهم انشغالات الفرد.[4]

وترد هذه الكلمة بعدة معان مترادفة (كالموضوع والغرض، والجذر والمحور والفكرة الأساسية، والعنوان، والحافز، والبؤرة، والمركز، والنواة الدلالية ....الخ).

كما عد محمد عزام الموضوعاتية التيمة وهي تدل على الموضوعات الكامنة في الأثر الأدبي. واعتبرها جون بول ويبر الصورة الملحة والمتفردة في عمل أديب ما.

أما جيرالد برانس فيرى أن الموضوع لا يكون منحصرا في الكلمة المتكررة، الموضوع أوسع من ذلك فيشمل الأفكار والخطرات وهو ما أطلق عليه (الوحدات التجريدية).

ونجد ما يوافق هذا الرأي نوعا ما عند ريتشار حيث يعرفه بأنّه "مبدأ ملموس في التنظيم، تصور أو شيء ثابت قد يتشكل حول عالم ما ويمتد يطرح مسألة مماثلة؛ إذ يبدو أن أكثر المعايير بداهة هو معيار تكرار الكلمة، غير أن الموضوع غالبا ما يتجاوز الكلمة وقد يتغير معنى كلمة ما من تعبير لآخر. لذلك فإن المؤشر الأكثر موضوعية هو (القيمة الإستراتيجية للموضوع) أو إذا شئنا خاصيته الموقعية topologique ويعتبر هذا المعيار حاسما".[5] والمنهج الموضوعاتي يرتكز على الموضوع في قراءاته للنصوص الأدبية

كما يعرف ميشال كولوت Michel collot الموضوع الفكرة الرئيسية حسب النقد الموضوعاتي، ويأخذ أبعادا نفسية ويعرف عن طريق التكرار.

المنارة للاستشارات

كما عدّ الموضوع المفهوم المركزي الذي تلتقي حوله المفاهيم الأخرى في المنهج الموضوعي كمفهوم البنية والشكل والعلاقة....الخ. و"تقوم الموضوعاتية على مبدأ تصنيف عناصر العمل الأدبي من أجل ربطها ببعضها، بينما تقوم الموضوعاتية البنيوية على أساس التصنيف من أجل توليدها من بعضها".(6)

والبحث في الموضوعاتي هو بحث في النقاط الأساسية التي يتكون منها العمل الأدبي.كما تعد البنية من المفاهيم المؤسسة للمنهج الموضوعاتي لأن البنيوية تدرس نظم العلاقات الضمنية، فذلك يعنى أنه باستطاعتنا قراءة الموضوعات قراءة بنيوية.

1-جذور النّقد الموضوعاتي: تعود جذور المقاربة الموضوعاتية إلى الرومنسية في نزعتها التحررية التي من شأنها أن تجعل التعبير ينطلق حرا بلا قيد ولا بتقليد صيغ موضوعة، وقوالب مصنوعة.

وقد عالجت مناهج النقد الحديث النصوص واعتبرتها وحدة مستقلة، وتلك الاستقلالية أسست للمنهج الموضوعي الذي عد مشكلا في النقد الجديد. لكن ذلك النقد نشأ في الأصل تحت شعار اللسانيات والبنيوية والتحليل النفسي والتي حاول النّقد الموضوعاتي أن يستقل عنها.

ونجد أنّ الرومنسيين أمثال ووردزورت وكوليردج وكيتس أغرقوا في الخيال والذاتية، مما أدى بالبعض للثّورة على الذّاتية ومحاولة إرساء الأسس الموضوعية لمفهوم الأدب.

كما كان للتيار الرومنسي الألماني الفضل في تطوير نظرية للعمل الفني كان لها الامتداد بفضل النقد الموضوعاتي، وجماعة بيينا ترى أنّ العمل الأدبي يرجع للوعي المبدع، حيث يتم تطويع كل العناصر الشكلية والمحدثة للعمل الفني. فعد بذلك النقد الموضوعاتي انتصارا لوعي أدب الذات.

المنارة للاستشارات

يعطي أهمية كبيرة لـ(الموضعية) ومع ذلك فإن مرجعية الموضوعات في الدراسات الأدبية تعود إلى فترة أبعد بكثير، فالمصطلح موروث عن

وقد أمدنا مفهوم الموضوع بعنصر مشترك حاسم في أي نص élément de signification وهي عنصر مدلولي، Topos

مدلولي وإلهامي يسمح بمقارنة أعمال مؤلفين مختلفين انطلاقا من فهرس واحد.(7)

ومن المعروف أنّ النّقد الموضوعي يعتبر العمل الفني كائنا مستقلا بذاته، هدفه إيجاد القيم والمعاني من داخل القصيدة وليس من. خارجها فالمشكلة الرئيسية التي يواجهها النقد الموضوعي تتمثل في (المعنى) في الشعر أو الفن بعامة.

والنّاقد لا يستطيع أن يكشف علاقة العمل الفني الذي يحلله بالاهتمامات الأخرى الموجودة في الحياة إلا بعد اكتشافه لقيمة العمل الفنية بوصفه فنا يحدث تأثيرا جماليا قبل أي شيء آخر. وحتى نحكم حكما موضوعيا يجب فصل النص عن القيم الخارجية ونحاول أن نكشف معناه من خلال البناء أو الشكل.

وهنا تكمن العلاقة بين النقد الموضوعاتي والبنيوية، والنقد الموضوعاتي متأثر أيضا بالنقد الألماني والنّقدين الشكلاني والنّفسي وبعامة النقد الداخلي للنصوص الأدبية.

2- مفاهيم النّقد الموضوعاتي: يتأسس النّقد الموضوعاتي على جملة من المفاهيم يحددها عبد الكريم حسن في: الموضوع، المعنى، الحسية، العلاقة، التجانس، الدال والمدلول، شكل المضمون البنية، العمق، المشروع، المحالة.

- **الموضوع:** يشكل بؤرة تلتف حولها مجموعة من المفاهيم الإجرائية الأخرى فالموضوع "وحدة من وحدات المعنى هو وحدة حسية علائقية أو زمنية مشهود لها بخصوصيتها عند كاتب ما، كما أنها مشهود لها بأنها تسمح انطلاقا منها وبنوع من التوسع الشبكي أو الخيطي والمنطقي أو الجدلي ببسط العالم الخاص لهذا الكاتب".(8)

المنارة للاستشارات

ونجد ذلك في كتابات أحلام مستغانمي حيث يتكرر الموضوع الرّئيس في رواياتها والمتمثّل في الحبّ والوطن.

–**المعنى:** النقد الموضوعي يعتبر العمل الفني كائنا مستقلا بذاته، وبالتالي هو يركز على داخل النص وليس خارجه، وبذلك لا يمكن فهم المعاني الحقيقية إذا حمل الناقد العمل معان لا يكشف عنها الشكل، فكثيرا ما يبتعد النّاقد عن الموضوعية ويحاول فرض إيديولوجيته بتحميل النصوص معان تخدم ميوله وتقويل النص ما لم يقله.

– **الحسية:** إن الحسية مفهوم بالغ الأهمية في النّقد الريشاردي. فهو يشكل القاعدة المادية التي يقوم عليها العمل النقدي والعمل الإبداعي. "وإذا أردنا أن ندرك هذا الوعي الحسي تجاه الإبداع كان في وسعنا أن نتمثله عبر صورة الطفل الوليد ففي المرحلة الجنينية لا تعرف الأم شيئا عن جنينها. إنها شبيهة بالشاعر الذي تختمر العملية الإبداعية في شعوره وإحساسه حتى تعبر عن نفسها في كلمات مسطورة والخالق هنا لا يعرف ما الذي يجري في داخله من تفاعلات. ولكن كل تفاعل منها يعبر عن مرحلة من مراحل الخلق حتى يكتمل الخلق بصورته النهائية"[9]

– **الخيال:** مفهوم الخيال يتمثّل في ما ينتجه من علاقات بين الموضوعات الإبداعية وبالتّالي في ما ينشره موضوع ما من قيم متعددة، وقد جاء ريشار بمفهوم جديد للخيال هو نمو العلاقة في الخيال، وبذلك يكون الخيال على ارتباط بالموضوع لأنه لكي نفهم موضوعا يعني أن ننشر قيمه المتعددة وهو على ارتباط بالحس لأن الحضور يستمد الحلم مادته الأولية من أجل بناء متحف الخيال. ومفهوم الحضور ينتمي إلى عالم الحس وبالتالي يكون الخيال على علاقة بالحس[10].

– **العلاقة:** لابد هنا من الإشارة إلى ظهورات الموضوع لأن كل ظهور يعد لباسا للمعنى فظهورات المعنى تصدي في اتجاه بعضها؛ وهذه الأصداء التي تثيرها المعاني

المنارة للاستشارات

تلتقي مع بعضها في علاقة عديدة، ومن أنواع العلاقات التي تربط بين المعاني العلاقات الجدلية والمنطبقة والخيطية والشبكية، وذلك ما يمكن وصفه. التمفصل وبذور الالتقاء [11].

– **البنية:** "إنّ القراءة الموضوعية تعني أن يتساءل الناقد عن البنى الخاصة التي تمثل الحضور الشعري إزاء الأشياء، ومن ثمة يصبح البحث الموضوعي بحثا عن البنية التي تميّز العمل الإبداعي والسمة الأهم لمفهوم البنية في المنهج الموضوعي أنّها بنية شبكية أو إشعاعية. فتحليل عنصر ما في العمل الأدبي إنما يفضي إلى كل العناصر الأخرى"[12]

– **العمق:** ويقصد به المعاني الحقيقية الغير ظاهر اللاسطحية، التي لا تتجلى في الكلام، وإنما يجب التوغل داخل النص للقبض عليها، والنص الغامض يكون مجالا خصبا للناقد حتى يكتشف تلك المعاني العميقة.

– **المحالة:** إن النقد الموضوعاتي ينفي الإحالة لمصدر خارجي، فهو لا يحيل إلى الكاتب ولا لظروفه الاجتماعية، هو نقد يركز على النص فقط، فالنص هو الذي يظهر حقيقة صاحبه في نظر النّقد الموضوعاتي.

وكل تلك المفاهيم إذن تتضافر وتترابط فيما بينها وعليها يتأسس النّقد الموضوعي. فالموضوع يعتبر البؤرة التي تتفرع عنها تلك المفاهيم حيث تحمل معنى يتحدّد من داخل النصّ، والنقد الموضوعي يركز أيضا على الخيال والعلاقة والحسية، والموضوع يتشكّل من خلال البنى التي تتظافر وفق وحدات علائقية ترتبط ببعضها البعض مما يشكل وحدة داخلية للنص تتضمن معاني لا تدرك إلا من خلال التوغل في القراءة ولإدراكها لابد من الابتعاد عن أي مصدر خارجي والتركيز على النص وفقط.

المنارة للاستشارات

3–رواد النّقد الموضوعاتي: من أبرز رواد النّقد الموضوعاتي نجد جورج بولي وستاروبنسكي وج. ب ريشارد فالأول يصب اهتمامه على ما وراء الأعمال الأدبية، مسائلا فلسفتها، من خلال عنصري الزمان الفضاء ويقبض الثّاني المعنى الضمني والبسيط والبنية اللّغوية التي تقابل تكوين الفكرة في لاوعي العمل المنجز، أما الثالث فيجمع بين العديد من النصوص، بهدف تحديد دلالة المنظور في الأعمال الأدبية لكتاب مختلفين فجميعهم يسعون إلى الوصول للمعنى.

إلى جانب أولئك النقاد ج.ب ويبر، وباشلار، وميشال كيومار.

Gaston Bachard*–غاستون باشلار:

لم يكن رائد الإجراء الموضوعاتي مع ذلك كان ناقدا أديبا. لقد كان أولا، وهو الفيلسوف في ثقافته وممارسته، ابستومولوجيا يهتم بتاريخ (La Formation De L'esprit Scientifique) العلوم، كما اهتم في كتابه شكل الذهن العلمي

الفكر البدائي والعقلانية الديكارتي (L'animisme) بتعريف الفكر العقلاني المتفتح والمتطور البعيد عن إحيائية.

وقد تأثر باشلار بالفرويدية والظاهراتية، لكنه سرعان ما انفصل عن الفرويدية لاعتناق تصور دينامي ومبدع للخيال، أما الظاهراتية فلقد تركت فيه أثرا عميقا، بحيث أخذ منها طريقتها ومنهجيتها في تناول القضايا، مستغنيا عن المصطلحات التي La Poétique De La Rêverie تبناها هورسل وغيره، وقد أكد على أن "كل وعي هو زيادة في الوعي والنور، وتعزيز للترابط في كتابه شعرية حلم اليقظة النفسي المنطقي"[13]، وبإمكان الوعي المتخيّل أن يحمل معه موضوعاتية.

وقد بشر باشلار بالنّقد الموضوعاتي مع تسليمه بأن الخيال دينامية منظمة فقيمة الصورة بالمعاني التي تنشرها.

المنارة للاستشارات

وعمل باشلار على تحديد أنماط حلم اليقظة الإنساني بالمادة، وإظهار كيفية تحكمه بالكتابة كتجربة مادية للعالم عند الشّعراء بصورة خاصة. فحلم اليقظة بالنسبة إليه أنثوي (أنيما) بعكس الحلم (أنيموس) والكلمات والمفردات بها حمولة أنثوية وذكورية والشّاعر الحالم حلم اليقظة يغوص في ذاته بعمق ويميز بين تلك المفردات.

ولاستمرار حلم اليقظة أعمل باشلار فكره في موضوعات، هي تجسيد للموضوعات التي سيمنحها الموضوعاتيون، فيما بعد، امتيازا خاصا: مثل موضوعات"المياه الرقراقة والمياه العاشقة، والمياه العميقة .....الخ.

*** – جورج بولي:Georges Poulet**

يعد جورج بولي من أقرب النّقاد لباشلار حيث انصب اهتمامه "في الوعي المبدع من خلال أشكال الوجود _في _العالم " التي يعرضها العمل بصورة شبكات تخيلية. كما أنه يعتبر امتدادا لوجهة النظر الروحانية لمؤسس (مدرسة جينيف) بتعريفه العقلي والحسي معا الذي يريد دراسته وذلك، من خلال إعادة اكتشاف معنى حياة انتظمت انطلاقا من وعيها بذاتها (الوعي(Cogito) لمبدأ الأنا المفكر النقدي).

و"حاول أن يجد في كتابات الكاتب موقعا ابتدائيا يأخذه على عاتقه ويسعى بصورة لاشعورية إلى الهروب منه أو إلى تنظيمه، وفي هذه الحالة يصبح الأثر علامة على انتصاره أو على إخفاقه"[(14)]،

وقد تأثّر جورج بولي "بمارسيل ريمون" بصورة مباشرة، واهتم بصنفي الإدراك الحسي الكبيرين: الزمان والمكان."وهذا يعني أنه والمنقود[(15)]. بين الناقدL'indentification كان يتجه نحو المنقود لمعرفة وعيه بهذين المفهومين ومن هنا تأتي فكرة التوحد.

وقد جاء بولي بفكرتي التأمل في الزمان والمكان، وبشر في كتابه دراسات حول الزمن الإنساني بهيمنة المنظور الموضوعاتي، كما حاول الإحاطة بخصوصية العمل

المنارة للاستشارات

الأدبي من خلال الأشكال المتعددة التي تتحكم في تنظيم المكان. فبوليه إذن يرى أهمية عنصري الزمان والمكان في بناء وعي سليم بالذات وهذا الوعي هو التوصل إلى تحقيق شعور بحياة صحيحة

*** – جان بيار ريشار: Jean–Pierre richard**

قام جان بيار ريشار القيام بجرد للموضوعاتية الصغرى المجازية، "وقد اعتمد على مبدأين منهجيين في أطروحته عن العالم الخيالي لمالارمي(Mallarmé) وهما: التوضيح وإعادة البناء وتتجلى مقاربته الموضوعاتية في كتبه القيمة التالية:

(الأدب والحساسية) (1954) / (الشعر والأعماق) (1955)/(العالم التخيلي لمالارمي) (1961)/(دراسات عن الشعر المعاصر)(1964)/ (من أجل قبر لاناتول)/(مشهد شاتوبريان) (1967)/مراسلات مالارمي/ دراسات عن الرومانسية (1970).

وتبنى منهجية ريشار (Richard) الخطوات التالية:

– البحث عن الخلية الرّئيسة في النص وحصر محاورها وجذورها ضمن التّجسيد اللّغوي البحث.

مقارنة مختلف الجذور الدلالية واستخلاص تراكماتها اللغوية وأبعادها الدّلالية[16].

–تعميم المقارنة على مختلف نصوص الكاتب انطلاقا من وحدات أساسية تتحدد في نص رئيسي أو مجموعة نصوص مبنية.

فريشارد إذن يبحث عن الموضوع الرّئيس في النص من خلال التواتر اللّفظي ومن ثمة استخراج التيمات الفرعية ومقارنتها واستخلاص أبعادها الدّلالية، ثم تأتي عملية التّعميم على نصوص الكاتب.

المنارة للاستشارات

*** – جان بول ويبر:**

يعد جان بول ويبر من النّقاد الذين يدرسون علاقة الشّاعر بالعالم وبالكائن، عبر البنية الموضوعاتية المعقّدة لعالمه" ويعتمد في منهجه على ثلاثة مبادئ أساسية وهي: واقعية اللاوعي. أهمية الطفولة. وإمكانية تمثيل رمز واحد لواقع قديم[17]، ففي نظر ويبر العمل المبدع يعود لصدمة أو حادثة في شباب أو حتى في طفولة الكاتب. وبذلك عد جون بول ويبر التّحليل الموضوعاتي تأكيدا على إمكانية فهم الفعل الإبداعي تكييف إلى ما لانهاية لموضوعاتية واحدة. فرأي ويبر يتفق مع التّحليل النّفسي وسيكولوجية شارل مورون والتركيز على طفولة الكاتب ترجعنا إلى التحليل النفسي الفرويدي، وكأنه بنى منهجه النقدي الموضوعاتي على أساس نفسي، لكنه دافع عن منهجه وعن فكرة واحدية الموضوع.

*** – جان ستاروبنسكي:**

كتب ج .ستاروبنسكي الكثير من الأعمال نذكر من بينها: (الشفافية والعائق)(1958). (السخرية والسوداوية)(1960)" (العين الحية)(1961)."[18]وقد استند ستاروبنسكي إلى التحليل السيكولوجي والموضوعاتي لمقاربة النّظرة في أعمال جان جاك روسو وكورناي وراسين وستاندال مادامت النّظرة تعبّر عن كثافة الرّغبة وبالتالي، فهو ناقد الأعماق يبحث عن واقع خفي قصد معرفته معرفة جيدة، لأنه هو الذي يعلن الظاهر "ويستخلص جان ستاروبنسكي (J.Starobinski) من قراءاته أنّ الكاتب الأوّل يحسّ أنّه (ضحية نظرة مجهولة لمقترح دون هوية)، كما أن بطل الكاتب الثاني، يحس أنه في حاجة إلى(نظرة تواطؤ الشعوب والأجيال الشاهدة)، بينما نجد عند الكاتب الثالث (نظرة لا تقتضي المجد ولكنها تجلب الخجل)، أما عند الرابع فإن الاسم المستعار لا يعد هروبا من مجهول، بل فنا للظهور[19] فستاروبنسكي ركّز في نقده على الأعماق فهو لم يتوقف عند حدود العلاقات الظاهرة أو الخفية .

المنارة للاستشارات

3- منطلق النقد الموضوعاتي:

يعدّ التّأويل شرطا أساسيا لاعتبار الدّراسة الموضوعاتية حول عمل ما ناجحة فجلّ الدّراسات الحديثة ترتكز عليه، وهو حسب ويبر القوّة المحركة للنقد الموضوعاتي فويبر الذي توصل إلى اكتشاف موضوعاتية العضة التي انبثقت منها أعمال استندال من خلال تأويله، نتيجة لحدث واقعي مر به المؤلف في طفولته.

كما أنّ العناية بدراسة العنوان مهمة لاكتشاف موضوعاتية النصّ فهو رأس النصّ ونواته، بل وقد يكون هو في حدّ ذاته الموضوع الرّئيس، لذلك اعتنى جورج بوليه بعنوان رواية بروست في (البحث عن الزمن الضائع)، وعناية بول فييبر بعنوان رواية استندال (الأحمر والأسود).

***التّأويل:** وقد أشار الباحثون الغربيون إلى التّأويل بأوجه مختلفة فمنهم من رأى أنه "التفسير ومنهم من اعتبره الشّرح، وآخر ربطه بالفهم، وهناك من ضمه إلى الترجمة إلى غير ذلك من المصطلحات التي وردت عنهم على اختلافها في السياق اللّغوي إلا أنّ المقاصد متقاربة ومنضوية تحت مفهوم الهرمينوطيقا الذي أخذ بدوره ينحو منحا متعددا بتعدد تنوع الخطاب، "وقد ارتبط التّأويل بالدّراسات اللاهوتية المسيحية التأويلية بالظواهرية. " خصوصا، ثم توسع ليشمل نصوصا أخرى خاصة الشّعرية منها وربط هيدجر Heidegger الهرمونيطيقا لشرح الجهد الظاهراتي الهورسلي في الاستعاضة عن المناهج العلمية في العلوم الإنسانية بمقاربة معرفية أعمق وأشمل، وهي تنطلق من فهم الذات والإطاحة بالأوهام المحيطة بها[20]،كما اعتبر بول ريكور أنّ الحاجة للتّأويل تنشأ من تحرر النصوص المكتوبة من مؤلفيها ومتلقيها، ويرى أنّ النصّ قابل للتّأويل على قدر عدد القراء.

المنارة للاستشارات

وقد نقل شلايرماخر التأويل من الاستعمال اللاهوتي ليكون فنا لعملية الفهم وتحليل النصوص"من خلال التركيز على اللغة والخطاب والذات المتكلمة (المؤلف) والفهم، إذ تمثل اللغة عنده المعنى، والنص وسيطا لغويا موضوعيا وظيفته جعل عملية الفهم ممكنة"[21]، ذلك أنّ البحث في الأعمال اللغوية يجرنا لتحليل الانطباعات التي تتكون عن الموضوعاتية.

والمؤلف لابد وأن ينهل من هذه المعارف لذلك على المؤول أن يكون ملما بها، لكشف موضوعاتية النصّ، والخفي فيه ويقرأ مابين السطور.

كما يتحرى النّقد الموضوعاتي الحكم الموضوعي على العمل، وذلك لا يتم إلا إذا استطاع النّاقد تحديد قيمة العمل الفنية وابتعد عن الذاتية، "وقد أثار الفرق بين الموضوعية والذاتية جدلا حادا بين مختلف المنظرين والنقاد، حيث انقسموا إلى تيارين أساسيين، فمنهم من يركز على النص وكل ما يتعلق به كظروف الإنتاج وسلطة المؤلف وغيرها، ومنهم من يهتم خصوصا بعنصر القارئ كمنتج لمعنى النص، فلتأويل دور فعال في النّقد الموضوعاتي. فبواسطته يتم إنتاج المعنى ويعتبر منطلق القراءة الموضوعاتية.

* **دراسة العنوان:** لم يلق القارئ الاهتمام المناسب، إلا بعد أن أخذت مدرسة (كونستانس الألمانية) تقدم نظرية للقراءة سماها مؤسسها هانس روبرياوس (بجمالية التلقي) وبحسب هذه النظرية لا يمكن فهم النص عن طريق ربطه بصاحبه أو كشف بنيته العميقة فقط، بل يجب تحليل العلاقة المتبادلة بين النص والقارئ لأن القارئ هو الذي يعيد تشكيل النص ويصنع دلالته من جديد.

وقد اهتمت نظرية التلقي بالعنوان، لأنّه لا يمكن معرفته إلا بعد ولوج النص وإعطاء فرضيات القراءة.

المنارة للاستشارات

وقد تطرق (جورج بولي) للعنوان في كتابه (الفضاء البروستي) موضحا أنه: "في ألفاظ العنوان نفسه الذي تحمله ندرك أن رواية بروست تقوم حقيقة بـ(البحث عن الزمن الضائع) كائن ينشغل بمحاولة القبض على ما فيه، فيجهد نفسه للعثور على وجوده القديم[22]، فعنوان رواية بروست كان ذا فائدة لجورج بولي حيث ساعده في تأسيس موضوع دراسة على البحث في الفضاء، وهو الجزء الناقص في الرّواية التي ركّزت على عنصر الزمان.

يعدّ العنوان خطابا بصريا تقع عليه عين المتلقي، فاختياره غالبا ما يكون اعتباطيا، فهو يحمل دلائل وإيحاءات للنصّ الواقف على عتبته.

فالعنوان كما عرفه ليوهوك Leo hook "مجموع العلامات اللسانية (كلمات، مفردة، جمل ....، التي يمكن أن تدرج على رأس كل نص تحدد النص وتعينه"[23] وهو يقر إمكانية فصل العنوان باعتباره وحدة صغرى تعرف بهوية الوحدة الكبرى التي تندرج أسفلها فلا يمكن قراءة العنوان بعيدا عن النصّ.

وللعناوين حسب الوظيفة قسمها جيرار جينيت إلى عناوين ذاتية تعين موضوع النص وعناوين موضوعية ترجع إلى النص نفسه، وبذلك فالعناوين الموضوعاتية تدل على مضمون النص، وقد تكون هي الفكرة الأساسية التي تكلم عنها النقد الموضوعاتي أو التيمة الأساس، مما يسهل تحليل النصّ وفك شفراته عن طريق التّحليل الدّلالي الفردي أو التّحليل التّأويلي للنصّ.

4–إرهاصات النقد الموضوعاتي عند العرب:

إنّ الخطاب النّقدي العربي حديث العهد بالمنهج الموضوعاتي برغم محاولة البعض نسبة بعض الأعمال إلى هذا الإطار المنهجي، أمثال حميد لحمداني الذي نسب كتاب علي الراعي (دراسات في الرواية المصرية) لهذا المجال، وأبعد من ذلك إقرار خلدون

المنارة للاستشارات

الشمعة في (النقد والحرية) على النّقد العربي الحديث، على نحو بلغ فيه التأكيد على موضوع أو(Thématic) بأنه قد "سيطر منذ بداية القرن الاتجاه الثيمي مضمون العمل الأدبي حدا جعله يبدوا وكأنه العمل الأدبي نفسه[24].

ويعلق يوسف وغليسي قائلا:"من الطريف هنا أن كثيرا من أقطاب هذا المنهج في الغرب لم يكونوا قد ولدوا بعد خلال تلك الفترة المذكورة (بداية القرن) [25].

وقد سمى خلدون الشمعة هذا الاتجاه بمدرسة "نثر الأبيات" أين تحوّل القصيدة إلى نص نثري يكون بديلا لها، وهذا من شأنه أن يعرقل عملية التذوق المباشرة للقصيدة.

لكن الأكيد أنّ أوّل محاولة تعتبر بحق من أبجديات القراءة الموضوعاتية هي مع الدكتور عبد الكريم حسن الموسومة بـ(الموضوعية البنيوية دراسة في شعر السياب) الصادرة سنة 1983، وهي أطروحة دكتوراه ناقشها في جامعة السربون سنة 1980 بإشراف المستشرق الفرنسي الكبير أندريه ميكال. وعضوية المفكر الجزائري محمد أركون ويرى سعيد علوش في كتابه (النقد الموضوعاتي) أنّ هذا النّقد ظهر في العالم العربي في أحضان الجامعة من خلال الرّسائل الجامعية، فالرّسالة الأولى كانت لكيتي سالم تحت إشراف ج.ب.ريشار عن موضوعاتية (القلق عند كي دي موباسان) سنة 1982، والثّانية التي سبق ذكرها عند عبد الكريم حسن والثالثة لعبد الفتاح كليطو بعنوان (موضوعاتية القلق في روايات فرانسوا مورياك).

أما خارج الإطار الأكاديمي، فنقرأ دراسات متفرقة كما يقول يوسف وغليسي تعوزها الإستراتيجية الشاملة منها دراسة مغربية للدكتور حسن جلاب سماها (هاجس الذنب في شعر أبي القاسم السهيلي_دراسة موضوعاتية بنائية) تناول فيها نصوصا من أشعار القرن السادس الهجري. كما أنّ سعيد علوش خصص فصلا خاصا في كتابه (النقد الموضوعاتي) سماه (النقد الموضوعاتي والقصيدة الحديثة _الصوت والعين والوجه)،

المنارة للاستشارات

عالج فيه ديوان قصيدة الحرب للشّاعر ياسين طه حافظ من خلال معالجة مونوغرافية ومقاربة إحصائية.

"بينما يمكن أن يكون كتاب (الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري) للدكتور محمد مرتاض أوّل ممارسة جزائرية من هذا النّوع تتخذ من أشعار الغماري ومحمد ناصر وحرز الله بوزيد ويحي مسعودي عينة للدراسة. يختزلها النّاقد إلى أربعة موضوعات ثم يعرض لخصائصها الفنية بعد ذلك عرضا مبثورا عن الموضوع[26].

كما نجد حميد لحمداني في كتابه (سحر الموضوع) و"علي شلق" في كتابه (القبلة في الشعر العربي القديم والحديث).

ولوعدنا للأطروحات الجامعية نجد أن عبد الكريم حسن قد قدم خطوات لمنهجه النّقدي المتمثلة في:

–تنكيس الأعمال الشّعرية الكاملة إحصائيا. وذلك عن طريق الحدس الشّخصي فالمجموعة اللغوية التي تتردد مفرداتها بكثرة، يكون لموضوعها أهمية متميزة بالمقابلة مع الموضوعات الأخرى التي يتمّ استخراجها.

–بعد العملية الإحصائية يتحدد الموضوع الرئيسي Le théme principale في مرحلة شعرية معينة فبالنسبة له الموضوع الرّئيس هو الذي يفرز بقية الموضوعات ويولدها بشكل آلي.

–اكتشاف الموضوع الرّئيس. وذلك عن طريق تحليل المفردات التابعة له بكل ظهوراتها، ويتم ذلك على أساس تحليل كل مفردة على حدى؛ ثم استخراج النتائج التي قد تكون مهمة جدا في التعريف بين هذه المفردات ووظائفها، وبعد اكتمال التّحليل الجزئي تتم دراسة الموضوع من خلال استخراج المخطط الكلي الذي ينظمه(...).

دراسة الموضوع الرّئيس تقتضي دراسة الموضوعات الفرعية التي تنبث وبذلك" تتشابه(موضوعية)عبد الكريم حسن مع(موضوعاتية) ريشار في الخطوات المنهجية

المنارة للاستشارات

(حصر العناصر المتكررة في نسيج العمل الأدبي)، وفي تحليل العناصر التي تم حصرها وفي جميع النّتائج التي تم تحليلها أو في بناء القالب النّموذجي المجرد الذي يستطيع أن يستوعب في داخله تفصيل العمل المدروس عنها.[27]

هذا عن منهج عبد الكريم حسن وطريقه في دراسة قصيدة (الحرب).

وفي نفس المسار الأكاديمي للأطروحات الجامعية حول الموضوعاتية، نجد رسالة عبد الفتاح كليطو حول (موضوعاتية القدر في روايات فرانسوا مورياك) حيث إن إعلان المنهج لم يكن واضحا، إلا أنّ المقاربة كانت تتوخى البحث عن موضوعاتية واحدة بتشابك علائقها التخيلية والعقائدية والاشتغال بها لتقصي الأطروحات الرئيسية والفرعية للقدر في روايات مورياك، ويحدد كليطو حدود الإثارة الموضوعاتية له، من خلال أفقية استعمال القدر[28].

فمقاربة كليطو تنتهج سبيلا مبسطا، ولكنّه فعّال في تحديد سياق استعمالات القدر ضمن فقرات الرّوايات، من جهة، وتحديد الأفكار الموضوعاتية الأساسية التي يحيل عليها التداول في الفقرات

5-تمظهرات الموضوعاتية في الأدب الجزائري: "الموضوع البؤرة أو الموضوع الرئيس نجد عند كثير من الرّوائيين الجزائريين، حيث يتكرر موضوع واحد ويتمظهر بطرق مختلفة في أعمال الأديب، والمتتبع لأعمال الأديبة أحلام مستغانمي يدرك تماما أنّ كتاباتها تتمركز حول موضوع رئيس يتكرّر في أغلب رواياتها، والمتمثل في موضوعاتية الوطن والحبّ، هذه الثنائية التي شكّلت بها خطابها الروائي وجعلته يتمحور حولها بتقنية عالية، وأنت تقرأ رواياتها تحس وكأنها امتداد لسابقتها، فنجدها في رواية "ذاكرة الجسد "وهي تتكلم عن "خالد بن طوبال" وذاكرته التي لم يستطع الانفصال عنها، فهي ترافقه في ذراعه البثور وحبه لوطنه وتضحيته لأجله جزء من تلك الذاكرة

المنارة للاستشارات

التي حملت "حياة" وهي طفلة صغيرة بين يديه وحملتها وهي كبيرة في قلبه. كما يتكرر موضوع الحب والوطن في روايتها "الأسود يليق بك"، وهي تروي أحداث العشرية السوداء وقصة الحب بين رجل الأعمال اللبناني "طلال" والمطربة الجزائرية "هالة الوافي".

كما نجد موضوعاتية كاتب ياسين في روايته "نجمة" والتي تتموقع حول جريمة الناظور وارتباط العناوين الفرعية بتلك الواقعة.

والأديب "ياسمينة خضرا" دارت موضوعاته حول التطرف الديني في روايته "سنونوات كابول".

خاتمة: خلص هذا البحث إلى النّتائج التالية:

كلمة الموضوع وردت بمعان مترادفة كالغرض والجذر والمحور الفكرة الرئيسية. وهو يمثل السمات الدلالية المتواترة في النص أو الأثر الذي تتركه ذكريات الطفولة.

–للمنهج الموضوعاتي مفاهيم حددها عبد الكريم حسن في كتابه المنهج الموضوعاتي كالموضوع والمعنى والحسية والخيال والعلاقة والبنية وغيرها استخلصها من آراء النّقاد والرّواد أمثال باشلار وريشار، جورج بولي .... الذين أرسوا قواعد لهذا المنهج وكل عرفه وفسره من خلال وجهة نظره.

–للمنهج الموضوعاتي منطلقا يتمثل في التأويل والعنوان، فالتأويل أداة محركة للنقد الموضوعاتي وفيه من يركز على النصّ والبعض الآخر يركز على القارئ وفي بعض الأحيان يكون هو الموضوع الرئيس. كما قد يكون العنوان موضوعا في حد ذاته.

–النقد العربي حديث عهد بالمنهج الموضوعاتي لم يتجل ظهوره إلا في أحضان الجامعة من خلال الرسائل والأطروحات. كأطروحة الدكتور عبد الكريم حسن الموسومة

المنارة للاستشارات

بـ(الموضوعية البنيوية دراسة في شعر السياب)، أما خارج الإطار الأكاديمي وجدت دراسات متفرقة تفتقد للإستراتجية الشاملة.

الهوامش:

1-ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، مج:8،دط، د ت ط، ص:396.

2-بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، مطابع بيتوبراس، (د ط)، 1993، ص:974.

3-جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي.

http://www.arabicnadwah.com/articles/muqaraba-hamadaoui.htm12/03/2015.10h:08

4-رحيم عبد القادر، وظائف العنوان في شعر الغماري، مجلة المخبر"أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع:4،2008

5- رضوان ظاظا، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت

6- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ط1985،،1،،ص:231.

7- شتير رحيمة، النقد الموضوعاتي وقراءة النص(قصيدة لا تخاف على حلم) لدرويش نموذجا،جامعة محمد خيضر، بسكرة، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها،2009

8- عبد الحق بلعابد، عتبات(جينيت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008 ص:76-77.

9- عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،ط1990،1،ص:164.

المنارة للاستشارات

10– عمارة ناصر، اللغة والتأويل، مقاربة في الهرمينيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشوارت الاختلاف الجزائر، ط1، 2007 ، ص:15

11– محمد السعيد عبدلي، البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة لكاتب ياسين، أطروحة دكتوراه جامعة الجزائر 2003، ص:151.

12– محمد بلوحي، النقد الموضوعاتي الأسس والمفاهيم:
http://www.dorarr.ws/forum/showthread.php 12/03/2015.09H22

13– محمد عزام، وجوه الماس البنيات الجذرية في أدب علي عقلة–دراسة–منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،دط،1998، ص:29.

14– نهاد التركلي، اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د ط)، 1976، ص:81.

15– يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري–كلام المنهج.فعل الكلام–، دار ريحانة للكتاب، الجزائر (د ط)، (د ت ن)، ص:9، نقلا عن خلدون الشمعة، النقد والحرية

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب،دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت،مج:8،دط، د ت ط، ص:396.

[2]–بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، مطابع بيتوبراس، (د ط)، 1993، ص:974.

[3]- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت –لبنان، ط1، 1985، ص:231 .

4-Dictionnaire hachett encyclopédique, Paris ,édition ,2000 ,p :1861

[5]- رضوان ظاظا، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت

المنارة للاستشارات

[6]- محمد بلوحي، النقد الموضوعاتي الأسس والمفاهيم:
http://www.dorarr.ws/forum/showthread.php 12/03/2015.09H22

[7]- عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990، ص:164

[8]- رضوان ظاظا، **م س**، ص:117

[9]- السابق، ص:119.

[10]- شتير رحيمة، النقد الموضوعاتي وقراءة النص (قصيدة لا تخاف على حلم) لدرويش نموذجا، جامعة محمد خيضر، بسكرة، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها،2009

[11]- عبد الكريم حسن، **م س**، ص:55.

[12]- نفسه، ص:64-65.

[13]- السابق، ن ص

[14]- محمد بلوحي، النقد الموضوعاتي-الأسس والمفاهيم_.

[15]- رضوان ظاظا، م س، ص:141-142.

[16]- نهاد التركلي، اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د ط)، 1976، ص:81

[17]- جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي.
http://www.arabicnadwah.com/articles/muqaraba-hamadaoui.htm12/03/2015.10h:08

[18]-نفسه.

[19]-نفسه.

المنارة للاستشارات

[20]- عمارة ناصر، اللغة والتأويل، مقاربة في الهرمينيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشوارت الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص:20.

[21]- محمد السعيد عبدلي، البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة لكاتب ياسين، أطروحة دكتوراه جامعة الجزائر 2003، ص:151.

[22]- رحيم عبد القادر، وظائف العنوان في شعر الغماري، مجلة المخبر"أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع:4،2008.

[23]- ينظر: عبد الحق بلعابد، عتبات (جينيت من النص إلى المناص)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008 ص:76-77.

[24]- يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري-كلام المنهج.فعل الكلام-، دار ريحانة للكتاب، الجزائر، (د ط)، (د ت ن)، ص:9، نقلا عن خلدون الشمعة، النقد والحرية.

[25]-نفسه، ص:09.

[26]- نفسه، ص:12-13.

[27]- محمد عزام، وجوه الماس البنيات الجذرية في أدب علي عقلة-دراسة-منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط،1998، ص:29.

[28]- سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، دط، د ت ن، ص:49-50.

المنارة للاستشارات